

## الدرس الرابع عشر

### إرميا/ مراثي إرميا

تركيب الإصحاحات 21-52 وأفكار متبصرة حول المراثي

#### مراجعة

يركز سفر إرميا على دمار أورشليم و الهيكل عام 586 ق.م. ويشمل هذا خدمة إرميا النبوية التي تصل إلى هذه النقطة المساوية من العهد القديم وتستمر بعدها. أوضحنا في الجزء السابق أن للسفر ثلاثة أجزاء رئيسية. يقدم لنا الجزء الأول (الأصحاحات 1-20) خلاف يهوه مع شعب عهده يهوذا. ويتحدث الجزء الثاني (الأصحاحات 21-39) عن الدينونة التي يجلبها يهوه على يهوذا وأورشليم (مع رسالة خلاص قوية لمستقبل الأمة). أما الجزء الأخير فيتحدث عن آثار الدمار، بما في ذلك نبوءات عن دينونة مرتقبة على الشعوب الأمية. ويشكل الأصحاح الثاني والخمسون ملحقاً تاريخياً لهذا السفر.

#### الجزء الثاني - دينونة الرب ليهوذا وأورشليم (الأصحاحات 21-39)

##### أ. نزاعات إرميا مع السلطة (21-29)

##### 1. إعلان الدينونة على قادة الشعوب (21-25)

تشكل الأصحاحات 21-32 سلسلة من الرسائل التي أوصلها إرميا أثناء حكم يهوآحاز ويهوياقيم ويهوياكين وصدقيا. وهكذا لا يجب أن يؤخذ التاريخ الذي يلمح إليه الأصحاح 21 (588) على أنه إشارة إلى الأصحاحات الثلاثة كلها. فمع عرض النبي إرميا لمادته، فإنه يختار أن يبدأها عند النقطة التاريخية 588 ق.م، وينتهي الأصحاحات 37-39 بدمار عام 586 ق.م. أما فيما بين هذين التاريخين، فإنه لا يتبع الترتيب الزمني في كتابته.

يبدأ الأصحاح 21 على الأرجح عام 588 ق.م في وقت الزحف البابلي نحو أورشليم، لكنهم لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى مدى

قريب (الآيتان 4، 13).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> كانت مصر هي التي ألهمت التمرد، وتعرض صدقيا لضغط هائل من أجل الانفصال عن بابل. يقول أندرسون:

"كان الأشراف الجدد مؤيدين للمصريين، ورأوا في نحو، أو في خليفته Psammetichus الثاني، الذي جاء إلى العرش بعد أربع سنوات من غزو نبوخذ نصر (594 ق.م)، القدرة السياسية الكامنة التي يمكن أن تعيد التوازن في القوى إلى الهلال الخصيب وتسمح ليهوذا وأمم صغيرة أخرى باستعادة استقلالها. . . . فليس أمراً مستغرباً أن تقوم وفود مصرية في السنة الرابعة من حكم صدقيا - سنة اعتلاء Psammetichus الثاني العرش - بالبحث على تشكيل تحالف ضد بابل يتألف من أدوم وعمون وفينيقية. وقد تم إرسال معوثين إلى صدقيا

ويجد الملك صدقيا (حكم في الفترة 597-586) نفسه في معضلة شديدة مع إطباق البابليين عليه. ويبدو له الاستسلام الخيار الوحيد، فيرسل ممثلين (كان واحداً منهم على الأقل كاهناً) إلى إرميا طالباً رضى الله عليه ووقوفه معه ضد البابليين. غير أن إرميا لا يكتفي بعدم ضمان رضى الله عنه، بل إنه يتنبأ أيضاً بأن الرب سيعين البابليين على عقاب أورشليم (21:1-7).

ويصور الأصحاح 22 رفض الله للملوك الداووديين الأشرار الذين خلفوا يوشيا. فلن ينجوا الملوك الداووديون من البابليين ويمنحوا رضى الله إلا إذا كانت هناك توبة حقيقية تظهر في ممارستهم للعدل وفي شفقتهم على الفقراء والمساكين. لنلاحظ أن الشرح في 22: 8-9 تطبيق لتثنية 29: 24-26. ونحن نجد أن الله يخاطب كل ملك من ملوك هذه الفترة (ماعد صدقيا) في الأصحاح 22. وتحدث 22: 10 عن يوشيا، و22: 10 ب-12 عن يهوآحاز (=شلوم)، و22: 13-23 عن يهوياقيم، و22: 24-30 عن يهوياكين. وتتنبأ 22: 30 بأن أبناء يهوياكين سيُلعنون - وأنهم لن يجلسوا على عرش داوود كملوك. [ولا يعني التصريح في 22: 30 "اكتبوا هذا الرجل عقيماً"، أنه لن ينجب أبناءً، بل يعني أنهم لن يملكوا عرش داوود].

كما نجد في 23: 1-8 إدانةً لملوك يهوذا الأشرار الذين كانوا موضوع الأصحاح السابق (وهم موصوفون بأنهم رعاة تافهون!). وبالمقابل فإن الله يعد بأن يقيم راعياً باراً (الآيات 5-8) - وهي نبوءة ستتحقق مع مجيء الرب يسوع المسيح. والوعد بأن "في أيامه سيخلص يهوذا" و"يسكن إسرائيل آمناً" مفتاح لفهم معنى رومية 11: 26- "وهكذا سيخلص جميع إسرائيل". وبقية الأصحاح 23 (الآيات 9-40) شجب قوي للأنبياء الكذبة. لاحظ على نحو خاص 23: 21-22 والآيات 25-32 وإن مجرد زعم بأن الرب تكلم من خلالهم لا يعني أن لما يقولونه شرعية أو أنه صحيح.

يعود الأصحاح 25 إلى السنة الرابعة من حكم يهوياقيم (605ق.م) إلى وقت قريب من معركة كركميش عندما أنهى نبوخذ نصر البابلي سيطرة الفرعون نخو على فلسطين. ويسجل لنا إرميا أن شعب يهوذا لم يستمعوا إليه عبر خدمته التي امتدت 23 عاماً.

لإقناعه بربط مصيره بمصير هذه الحركة الثورية (إرميا 27 : 3) ". [New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1986], 414) (Bernard W. Anderson, *Understanding the Old Testament*, 4<sup>th</sup> ed.)

وبالتالي فقد تنبأ إرميا بأن نبوخذ نصر سيكون عصا التأديب في يد يهوه (وهو يدعى "عبدي" في 25: 9)، وبأنه سيكون على شعب الله أن يخدموا ملك بابل مدة 70 عاماً (25: 11، 29: 10).<sup>2</sup>

غير أنه ستم معاقبة بابل نفسها في نهاية تلك المدة (25: 12). وعلى ما يبدو فإن الله قد اختار فتره 70 عاماً لأن الشعب قد خرق شريعة "راحة السبت" للأرض (لاويين 25: 3-5؛ أخبار 2: 36؛ 20-21). وستكون فترة الخرق 442-490 عاماً (بناءً على احتساب سنة اليوبيل أو عدم احتسابها -لاويين 25: 8-12). وقد شمل هذا كامل فترة العهد الملكي.

## 2. تسجيل صراعات النبي (الأصحاحات 26-29).

تركز هذه الأصحاحات على القبض على إرميا وصراعات مع الأنبياء الكذبة. فقد جلبت رسالته التي تحت على الاستسلام لبابل معاناة شخصية عليه.

يؤرخ 27: 1 في بداية حكم صدقيا، ويرتبط به أيضاً الأصحاحات 27-29 ارتباطاً وثيقاً. يقول فينبرغ:

"يهاجم الأصحاحان 27-28 التفاؤل الكاذب لأنبياء يهوذا، ويرجعها أغلبية الباحثين إلى السنة الرابعة من حكم صدقيا (594-593 ق م). كان مبعوثون أجانب يأتون إلى اورشليم من أجل إقامة تحالف ضد نبوخذ نصر. وكانت البلدان المجاورة تحاول على ما يبدو أن تشرك يهوذا في تمردها على بابل، وهو الأمر الذي شجعه الأنبياء الكذبة في اورشليم. . . ولقد كُتبت الأصحاحات 27-29 من أجل دحض الفكرة المغلوطة أن بابل مجرد قوة عابرة لا يجب أن يُحسب لها حساب".<sup>3</sup>

والأصحاح 29 رسالة إلى المسيبين عام 605 وعام 597، يعطيهم فيها إرشادات للبركة في فترة السبي (نعمة!). يقول تشيسولم "استسلم النبي نفسه لخطية الدينونة ونظر إلى المسيبين بصفته رجاء الأمة مستقبلاً (24: 1-10) وشجعهم على أن

<sup>2</sup> للاطلاع على الرأي القائل بأن الإشارة إلى السبعين سنة لا يجب أن تفهم حرفياً، انظر كتاب Chisholm, "A Theology of Jeremiah and Lamentations," *Theology of the Old Testament* (349-50). غير أن من مشاكل هذا الرأي أن تشيسولم يفترض ترتيباً زمنياً صارماً لـ 2 من أخبار 36. وهذا ليس بالضرورة أمراً صحيحاً. فربما تناول 2 أخبار 36: 17-19 نظرة أوسع للهجوم البابلي على اورشليم (وليس إلى 586 ق م. بالتحديد فقط)، مما يجعل الأصحاح يحتوي على ترتيب زمني عام فقط. لاحظ الإشارة في الآية 18 إلى إزالة الكوز من الهيكل، وهو وضع ينسجم على الأرجح مع دانيال 1: 1-3 في 605 ق م، بالإضافة إلى سبي يهوياكين في 597 ق م. (2 ملوك 24: 10-14).

<sup>3</sup> Charles L. Feinberg, *Jeremiah*, 543.

يستقروا في بابل وأن يساهموا في ازدهار أرضهم الجديدة وأن ينتظروا تحريرهم النهائي (29: 1-14)<sup>4</sup>. وسيدوم السبي الحالي سبعين عاماً (الآيات 10-14). لكن لدى الله خطة لإسرائيل متوقفة على لجوء الأمة إلى الرب.  
"وتطلبوني فتجدوني إذ تطلبوني بكل قلبكم" (29: 13).

وتستخدم الآيات التالية مصطلحات ثنية 30: 1-10، متعلقة إلى الوقت الذي سيرد فيه إسرائيل ويدخل في رباط العهد الجديد.

### ب. رسائل تعزية حول مستقبل يهوذا (الأصحاحات 30-33)

في وسط إعلان الدينونة على يهوذا وتنفيذها، يتم تعليق الحدث مؤقتاً لرسم صورة رجاء مستقبلي للأمة حين يبارك الله شعبه ويحقق وعوده لهم. وهذا مكان مناسب لإدخال هذه المادة لسببين: (1) كان النبي قد أنهى لتوه الأصحاح 29 بالقول إن لله خططاً للأمة يعطيهم بموجبها مستقبلاً ورجاء (29: 11)؛ (2) تشمل الأصحاحات التالية (34-39) سقوط أورشليم الفعلي (فكان كرمًا من الله أن يعطي رسالة تعزية قبل أن تأتي عليها أعظم مأساة لها). وفي هذا الجزء بالذات (الأصحاحات 30-33) سيعلن عن إعطاء العهد الجديد (وهذا موضوع سنتناوله في الدرس القادم). وإنه لأمر ذو دلالة أن العهد الجديد مع إسرائيل سيكون مسبقاً بوقت ضيق عظيم (لاحظ 30: 1-11). ونحن نرى أن هذا سيتحقق في الضيقة العظيمة (وإن أحد أهداف الضيقة العظيمة هو تأديب أمة إسرائيل ودفعها إلى التوبة والعودة إلى الله).

وتوضح لنا 33: 14-18 أن تحقيق العهد الجديد مع إسرائيل سيتزامن مع تحقيق الوعد الداودي مع إسرائيل<sup>5</sup>.

### ج. ذروة الدينونة (الأصحاحات 34-39)

يصل موضوع الدينونة الذي تخلل السفر كله إلى ذروته في هذه الأصحاحات مع التدمير البابلي لأورشليم والهيكل ويتألف هذا الجزء من قسمين رئيسيين: (1) الأصحاحات 34-36 التي تقدم لنا معلومات هامة تسبق سقوط أورشليم مباشرة، والأصحاحات 37-39 التي تصور الدينونة أثناء سقوط أورشليم.

#### 1. قبل السقوط (الأصحاحات 34-36)

<sup>4</sup> تيشيسولم، 348.

<sup>5</sup> رغم أن هذا الحدث قد يكون ذروة وعد العهد الداودي، إلا أنه لا ينبغي تحقيقاً جزئياً لوعده العهد الداودي في قيامة/ صعود المسيح (قارن أعمال 13: 32-33).

مع افتتاح الأصحاح 34 يصور القتال مع نبوخذ نصر على أنه أمر جارٍ (تاريخياً، بدأ الحصار عام 588 ق.م ودام حوالي 30 شهراً)<sup>6</sup>. غير أن الأصحاح 35 يوصلنا إلى أيام يهوياقيم (حكم 609-597). ويستخدم النبي أسلوب تذكُّر أحداثٍ ماضية لإظهار حوادث وقعت في زمن سابق من أجل التوكيد على طاعة الركابيين. ويخلص فينبرغ إلى أن "للأصحاح 35 هدفاً وحيداً، ألا وهو المقابلة بين طاعة الركابيين وعصيان يهوذا. ويهدف هذا المشهد إلى توبيخ الأمة على عدم أمانتها لله"<sup>7</sup>.

2. أثناء السقوط (الأصحاحات 37-39) تسجل لنا 39: 1-10 الانتصار الفعلي للبابليين على أورشليم ونهاية الحصار. لاحظ اللطف الذي يُعامل به إرميا في 39: 1 فصاعداً.

### الجزء الثالث- نتيجة الدمار (الأصحاحات 40-51)

يسجل هذا الجزء الرئيسي الأخير خدمة إرميا بعد الدمار (الأصحاحات 40-45) ونبوءات متنوعة متعلقة بدينونة الله للشعوب الأممية (51-46). فلنتذكر هنا دعوة إرميا التي تتضمن شعوباً كثيرة في 1: 10. ويصل هذا ذروته في النبوءات ضد بابل في الأصحاحين 51-50، حيث نرى بابل الشريرة التي صارت عصاً تأديب في يد الله ضد يهوذا. فقد أساءت استخدام دورها بموقفها المتعجرف من الله (50: 11، 14، 24، 29-32)، وإفراطها في سوء معاملة شعب الله (50: 11، 17، 18، 33؛ 51: 24، 34-35، 49) وعدم احترامها لهيكله (51: 11). والأصحاح 52 يطابق تقريباً 2 ملوك 24: 18 - 25: 30 وبين لنا كيف أن نبوءات إرميا قد تحققت على تقيض نبوءات الأنبياء الكذبة. غير أن التواريخ والشخصيات المذكورة في 52: 28-30 لا تتوافق مع تلك المذكورة في 2 ملوك 24 وهكذا فإن عمليات الترحيل المذكورة في الآيات 28-30 ربما تكون عمليات ترحيل صغيرة مختلفة عن تلك المذكورة في 2 ملوك 24 (لاحظ ترحيل 10,000 شخص في السنة الثامنة - 2 ملوك 24: 10-14).

### مراثي إرميا

#### أ. أسلوب شعري مرتب هجائياً

<sup>6</sup> يرجع داير تاريخ الحصار من 15 كانون الثاني 588 إلى 18 تموز 586 ق.م. ("Jeremiah," *Bible Knowledge Commentary*, Old Testament, 1185).

<sup>7</sup> فينبرغ، 599.

يتألف سفر إرميا من خمسة أصحاحات، يمثل كل أصحاح فيه في حد ذاته قصيدة. ويحتوي الأصحاحان 1 و2 على 22 بيتاً يتألف كل منها من ثلاثة شطور. ويبدأ الشطر الأول في كل عددٍ بحرفٍ مختلف من الحروف الأبجدية.<sup>8</sup> كما يوجد في الأصحاح الثالث 66 شطراً أيضاً، وهي تشكل نمطاً شعرياً مرتباً بشكل أقوى من 22 بيتاً يتألف كل منها من ثلاثة شطور. وتبدأ أول ثلاثة شطور بالحرف العبري **א** وتبدأ الشطور الثلاثة التالية بحرف **ב**، وهكذا (أي كل ثلاثة شطور تبدأ بحرف أبجدي عبري بالترتيب). أما في الأصحاح الرابع فلا يتألف كل بيت إلا من شطرين. لكن الشطر الأول من كل بيت هو وحده الذي يلتزم بالترتيب الأبجدي. أما الأصحاح الخامس فتميز، حيث يحتوي على 22 شطراً (وهذا هو عدد الحروف الهجائية العبرية)، لكنها لا تبدأ بالحروف الأبجدية العبرية.

### ب. خلفية تاريخية

يصور هذا السفر دمار أورشليم المأساوي في 586 ق. م. ويقول التقليد التاريخي أن إرميا هو الذي كتبه. إذ يعكس التشابه في المعاناة الشخصية المصور في الأصحاح الثالث ما نعرفه عن إرميا. وفضلاً عن ذلك، فقد كُتب إرميا مرثاةً عن يوشيا (2 أخبار 35 : 25). وهو الأمر الذي يدعم هذا الرأي التقليدي المتعلق بمؤلف السفر.

### ج. أسلوب الحروف الأبجدية المنفصل

تتحدث الآيات الأولى الحادية عشرة من الأصحاح الأول (تحتوي على النصف الأول من الحروف الأبجدية العبرية، أي من **א** إلى **ז**) حالة أورشليم المثيرة للشفقة، مصوراً إياها كشخص على مدى السفر. أما في الإحدى عشرة آية التالية (تحتوي على النصف الثاني من الحروف الأبجدية، أي من **ח** إلى **ט**)، فينتقل الموضوع إلى "أورشليم المشخصة" وهي تتحدث عن نفسها. ومن هنا فإن منتصف القصيدة الأولى (الأصحاح 1) هو الأيتان 11 - 12. أما في الأصحاح الثاني فنجد توكيداً مختلفاً بعض الشيء، ولا يعود أسلوب استخدام نمط التقسيم الهجائي على نفس الدرجة من الوضوح كما في القصيدة الأولى. ويختلف الأصحاح 3 (الذي يحمل تركيباً فريداً) عن الأصحاحين 1-2 في أن الكاتب يتحدث بلغة المفرد، غير أنه ليس أورشليم المشخصة. ويبدو أن هنالك بالفعل تقسيماً للأصحاح يتزامن مع منتصف الحروف الهجائية في كلا الأصحاحين 3 و4. أما الأصحاح الخامس فلا يتبع ترتيب الحروف الهجائية ولا يتقيد بنمط تقسيم الحروف الأبجدية في وسط الأصحاح. غير أننا نجد ترتيباً مصغراً لبعض الحروف الهجائية في 5 : 19 - 20. إذ نرى كلمة

<sup>8</sup> يوجد في عدة مواضع قلب للحرفين لاو و **ב**. (انظر 2 : 16-17؛ 3 : 46-51؛ 4 : 16-17).

تبدأ بحرف **א** في الشطر الأول من الآية 19، وكلمة تبدأ بحرف **א** في الشطر الثاني. ونرى أن البيت الشعري (أو الآية) ككل تعيد التوكيد على لاهوت سيادة الله المعبر عنه عبر السفر. ونرى في الآية 20 أن هنالك كلمة تبدأ بحرف **א** في الشطر الأول، وكلمة تبدأ بحرف **א** في الشطر الثاني. وهما تركزان معاً على معاناة شعب هذا الإله المتسيد. ويخلص هيتز،

"هنالك إذاً وسيلة أبجدية مستخدمة في الأصحاح الخامس في نفس الآيات التي تجمع ما بين موضوعين رئيسيين يتخللان السفر: الله متسيد وعادل، لكن معاناة صهيون عظيمة. ويهدف تقسيم الحروف الأبجدية إلى التعبير عن نقطته، كما هو الحال في الأصحاحات الأخرى. وإن أحد أسباب عدم وجود ترتيب أبجدي كامل في الأصحاح الخامس ربما يعود إلى أن الكاتب أراد أن يبرز على هاتين الآيتين قبل ختام السفر. وهو بهذا يجذب الانتباه بطريقة بارعة إلى الرجاء الوحيد للشعب اليائس".<sup>9</sup>

إذا نظرنا إلى السفر ككل، يبدو لنا أن هنالك زيادةً للأدوات الأسلوبية في الأصحاحات 1-3 وتقليصاً لها في الأصحاحين 4 و5. ويؤدي هذا (بالإضافة إلى حقيقة أن أقوى نمط ترتيب الحروف الأبجدية موجود في الأصحاح 3) إلى التوكيد على الأصحاح الثالث بصفته نقطة تركيز السفر. يكتب هيتز عن الأصحاح 3 فيقول،

"يصل الأصحاح الثالث إلى تصاعد تدريجي لكل من اليأس والرجاء. وتدوي الشطور الثلاثية في أذن السامع، صارخةً إليه بأن يرى عذاب الكاتب وشعبه. وهي تضع في نفس الوقت توكيداً قوياً على رحمة الله وصلاحه والخير الذي لا بد أن يصيب من يتكلمون عليه في نهاية الأمر".<sup>10</sup>

ويختتم هيتز مقاله على هذا النحو:

"لقد طوّع إرميا مقدرته الفنية في المراثي لخدمة اللاهوت العملي. وقد أدت صدمة فقدان الهيكل بالإضافة إلى معاناة الشعب الفظيعة أثناء الحصار وبعده إلى إعادة فحص جادة للإيمان. وقد أنتجت بوتقة الآلام ذهباً نقياً من الاعتراف بعدل الله في جلب الدينونة على يهوذا، وتفجعاً عميقاً يحث يوه على التحرك وفق عهده القديم مع شعبه".<sup>11</sup>

## درس لحياتنا

<sup>9</sup> Homer Heater, Jr., "Structure and Meaning in Lamentations," *BibSac* 149:595 (Jul-Sep 1992): 311.

<sup>10</sup> المرجع السابق، 312.

<sup>11</sup> المرجع السابق، 315.

مع أن الفرح يتوجب أن يكون سمة مميزة لحياة كل مؤمن بالمسيح (وهو أيضاً من ثمار الروح)، إلا أن هنالك أيضاً مكاناً للثناء أو التفجع في حياتنا. فللحياة لحظاتها الحزينة القاسية، تماماً كما أنّ تدمير أورشليم وهيكلي سليمان كانت أحلك ساعات العهد القديم. غير أن الرب معنا، حتى في مثل هذه الأوقات. لا شك أن هنالك ودياناً لا بد أن نمر بها أثناء سياحتنا المسيحية مليئةً بالألم والأسى الغامر. غير أننا نتعلم في مثل هذه الأوقات أعظم الدروس عن نعمة الله ومحبه. فنحن نجد واحداً من أجمل تصريحات الكتاب المقدس في الأصحاح الأوسط من مراثي إرميا:

"إن من إحسانات الرب أننا لم نقن، لأن مراحمه لا تزول. هي جديدة كل صباح. كثيرة أمانتك" (مراثي 3: 22-23).

يا له من عزاء للذين عاشوا تلك الأيام المساوية في زمن إرميا عندما دمر البابليون مملكتهم! ربما لا تمنى أن نمر بتلك الوديان المظلمة التي لا بد أن نمر فيها، لكن هنالك شيئاً واحداً يمكننا أن نتأكد منه: سيكون ربنا دائماً معنا. سيبقى معنا بكل أمانته حتى إلى درجة أن يمنحنا من جديد محبته المخلصة (بالعبرية "hesed") ورافته. إنه مخلص رائع، وأنا واثق أن نفسك تعرف ذلك جيداً.